الفصل الاول

1 تعريف الاضطرابات السلوكية

Defining Behavior Disorders

منظم متقدم: *Advance organizer*

عند قراءتك لهذا الفصل استعد لتحديد وتعريف ومناقشة ما يلي:

- المصطلحات التي تشير إلى الاضطرابات السلوكية.
- تعريف الاضطرابات السلوكية.
- المشكلات التي تصاحب تعريف الاضطرابات السلوكية.
- التفسيرات النظرية الستة الأساسية للاضطرابات السلوكية، وأهميتها في التربية الخاصة.
- التوجه البديل لتناول إدارة وترويض الاضطرابات السلوكية يقوم أساساً على أنماط محددة من الانحرافdeviance.
- الأمور التي تتعلق بمعدلات انتشار الاضطرابات السلوكية.

مقدمـة

في قصيدة " الرجال المكفوفين والفيل" وصف الشاعر ساكس *J.G. Saxe* كيف حاول ستة رجال من المكفوفين أن يفهموا ذلك الحيوان العظيم. فعندما لمس الرجل الأول جانبه اقتنع بأن الفيل يشبه الحائط، واعتقد الثاني عندما لمس ناباً منه أنه يشبه الرمح، وقال الثالث وهو يهز خرطومه إنه يشبه الثعبان، أما الرابع فقال وهو يحتضن رجل الفيل إنه يشبه الشجرة، ورأى الخامس الذي كان يتحسس أذن الفيل أنه يشبه المروحة، واعتقد السادس وهو يمسك ذيل الفيل أنه يشبه الحبل.

وهكذا حاول هؤلاء الرجال

بصوت عال و لفترة طويلة

كل حسب رأيه

بحزم وقوة

ورغم أن كلاً منهم كان على صواب إلى حد ما

فقد كانوا جميعاً مخطئين.

وفي واقع الأمر فإن مفهوم الاضطرابات السلوكية يعد مفهوماً معقداً للغاية، ومتعدد الجوانب، ويصعب علينا فهمه مثلما كان الفيل بالنسبة للرجال الستة المكفوفين في القصيدة التي أشرنا إليها للتو. فالاضطرابات السلوكية تتضمن العديد من الأنماط أو الأنواع التي قد يتشابه بعضها بدرجة قليلة مع بعضها الآخر، فالولد الذي يتسم بالتمرد والعصيان، والذي يوجه العديد من السلوكيات المختلفة نحو الخارج يشبه زميله الذي ينسحب من المواقف والتفاعلات الاجتماعية، والذي ينشغل مرضياً بما يكون بداخله وذلك بصورة تفوق مثل هذا الشبه بين ناب الفيل وذيله. ومع ذلك فإن كلا الطفلين يمكن أن يوصف على أنه مضطرب سلوكياً. وبذلك نلاحظ أن تعقد مثل هذا المفهوم إنما يضيف الكثير إلى تلك المشكلة التي تتعلق بتسميته وتعريفه.

وسوف نقوم أولاً في هذا الفصل بمناقشة تلك المشكلات التي تتعلق بالاضطرابات السلوكية، ثم نعرض بعد ذلك لتعريف مثل هذه الاضطرابات والذي أصبح هو أكثر التعريفات قبولاً في هذا الصدد، وأكثرها انتشاراً على نطاق واسع أيضاً. وسوف نتناول بعد ذلك وجهات النظر المتباينة والآراء المختلفة التي تتناول الاضطرابات السلوكية، ونوضح كيف يمكن لهذا التنوع أو التعدد أن يضيف إلى صعوبة التعريف، وأن يزيد منها. وأخيراً ونظراً لأن الظاهرة التي يصعب تعريفها سوف يصعب بالتأكيد قياسها، فإننا نقدم تقديراً لمعدلات انتشار الاضطرابات السلوكية وهي في الواقع اضطرابات واسعة الانتشار.

وجدير بالذكر أن هناك العديد من المصطلحات التي يتم استخدامها للإشارة إلى ما نسميه الاضطرابات السلوكية ومنها على سبيل المثال و ليس الحصر المرض أو الاضطراب العقلي، والخلل الانفعالي، والاضطراب الانفعالي، والإعاقة الانفعالية، وسوء التوافق الاجتماعي، والخلل الانفعالي الخطير. ومع ذلك فإن هناك من المختصين من يستخدم مثل هذه المصطلحات بدقة لتمييز تلك الفروق أو الاختلافات التي توجد في طبيعة ومستوى حدة المشكلات المختلفة، بينما يستخدمها البعض الآخر بالتبادل. ومع ذلك فإننا سنعمل بغرض التبسيط على ألا يوجد فرق أو اختلاف في استخدام المصطلحات المختلفة على امتداد هذا الكتاب.

ومن جانب آخر فإن اختيار الفرد للمصطلح الذي يستخدمه قد يعكس وجهة نظره في طبيعة تلك المشكلة التي يتناولها وذلك إلى حد ما. فعلى سبيل المثال نلاحظ أن الشخص الذي يعتقد أن السلوك المنحرف في حد ذاته هو الذي يمثل المشكلة ويؤدي إليها قد يكون من المحتمل بالنسبة له أن يستخدم مصطلح الاضطرابات السلوكية *behavior disorders* بينما نجد أن قرينه الذي يرى المشكلة السلوكية على أنها ناتج للصراع الانفعالي قد يكون

أكثـر قناعـة باسـتـخـدام مـصطلح الخلل الانفـعـالي *emotional disturbance*. ومع أن استخدام مصطلح الاضطرابات السلوكية إنما يعكس في الواقع وجهة نظرنا في طبيعة مثل هذه الظواهر فإن هناك سبباً آخر وهام لاختيار ذلك المصطلح حيث من الملاحظ بصفة عامة أن جميع المصطلحات يمكن أن تندرج تحت عنوان واحد هو الاضطرابات السلوكية؛ وعلى ذلك فإنه إذا لم تعكس السلوكيات العلنية التي تصدر عن الأفراد اضطراباً انفعالياً معيناً فإن وجود الاضطراب في هذه الحالة لن يكون واضحاً. وبناء عليه فمهما اخترنا من مصطلحات لتسمية المشكلة آنذاك، أو مهما اخترنا من مصطلحات حتى نتمكن من إدراك طبيعتها فإننا سوف لا نخبرها إلا من خلال السلوك الملاحظ للأفراد فقط وهو الأمر الذي يجعل مصطلح الاضطرابات السلوكية يبدو بذلك مناسباً.

تعريف الاضطرابات السلوكية *Definition*

تتضمن القواعد والتنظيمات أو الضوابط المختلفة التي تنظم قانون تعليم الأفراد ذوي الإعاقات *IDEA* (*1997*) التعريف التالي للخلل الانفعالي:

يمكن تعريف الخلل أو الاضطراب الانفعالي كالتالي:

أولاً: يعني المصطلح حالة معينة تظهر فيها واحدة أو أكثر من الخصائص التالية وذلك على مدى فترة زمنية طويلة وبصورة واضحة تؤثر عكسياً على الأداء التعليمي للفرد:

أ- عدم القدرة على التعلم والتي لا يمكن تفسيرها على أنها ترجع إلى عوامل عقلية، أو إدراكية، أو صحية.

ب- عدم القدرة على إقامة علاقات بين شخصية أو اجتماعية مشبعة مع الأقران أو المعلمين، والإبقاء عليها والاحتفاظ بها.

جـ- ظهور أنواع غير مناسبة من السلوكيات أو المشاعر في ظل ظروف عادية.

د- مزاج عام أو شامل يغمره عدم السعادة أو الاكتئاب.

هـ- وجود ميل إلى ظهور وتطوير أعراض جسمية أو مخاوف عادة ما تكون مصحوبة بمشكلات شخصية أو مدرسية.

ثانياً: يشمل المصطلح الأطفال المصابين بالشيزوفرينيا *schizophrenia* أي الفصاميين، ولا يشمل في ذات الوقت أولئك الأطفال الذين يعانون من سوء التوافق الاجتماعي إلا إذا كان قد تم تشخيصهم على أنهم يعانون من خلل انفعالي (*IDEA,1997*).

ومن الملاحظ في هذا المضمار أن ذلك التعريف الذي يتضمنه قانون تعليم الأفراد ذوي

الإعاقات *IDEA* ليس جديداً بالمرة في مجال الاضطرابات السلوكية إذ نلاحظ في حقيقة الأمر أن باور *Bower* قد نشر طبعته الأصلية التي صدرت في عام *1960* والتي يتضح عند وضعهما في مقابل بعضهما البعض أن التغيرات القليلة التي حدثت على مدى العديد من السنوات لم يتم إدراكها كلية على أنها تحسينات. فعلى سبيل المثال نلاحظ أن كوفمان (*1981*) *kauffman* قد أضاف ثلاث عبارات إلى تعريف باور *Bower* الأصلي منها جملتان في البند (ثانياً) وعبارة (التي تؤثر عكسياً على الأداء التعليمي) تحت البند (أولاً). وقد ادعى كوفمان *kauffman* كذلك أن النقطتين ب، جـ تجعلان التضمن المستقل للأطفال المصابين بالشيزوفرينيا غير ضروري، وأن استبعاد من يعانون من سوء التوافق الاجتماعي لا يتفق مع النقطة (ب)، وأن عبارة الأداء التعليمي تحت البند (أولاً) ما هو إلا نوع من الإسهاب أي الزيادة طالما أنه يظهر فيما بعد في النقطة (أ). ومن غير المحتمل أن توجد المشكلات الأخرى في ظل عدم وجود قصور أكاديمي دال. كما أن ضم مثل هذه النقاط إلى تلك القواعد والضوابط التي تنظم ذلك القانون قد يخدم الوظيفة التنظيمية، إلا أن ذلك قد يتم فقط على حساب الوضوح.

ومن الجدير بالذكر أن تعريف باور *Bower* ومواءمته في القواعد والضوابط التي تنظم قانون تعليم الأفراد ذوي الإعاقات يعطيه ميزة أن يكون وصفياً، فهذا التعريف لا يفسر أسباب الخلل الانفعالي الخطير، ولكنه بدلاً من ذلك يصف التفسيرات المحتملة لما يمكن أن تكون عليه المشكلة. وبناء عليه فإن مثل هذا التعريف لا يعد قاصراً على أي رأي نظري وحيد. وعلى الرغم من أن ذلك قد لا يرضي من يتبنون اتجاهاً نظرياً معيناً فإنه لا يؤدي بأي مجموعة معينة إلى الاغتراب من جراء ذلك الاتجاه النظري أيضاً. وهناك ميزة ثانية نتجت عن استخدام ذلك التعريف لمدة طويلة تتمثل في أنه قد أضحى في وقتنا الراهن متضمناً في القانون، ويسمح بالفهم العام للخلل الانفعالي الخطير.

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك بعض جوانب القصور في تعريف باور *Bower* أيضاً. فقد يكون من الصعب بل ومن المستحيل عند تحديد مصفوفة السلوكيات التي يجب أن تندرج تحت أي تعريف للاضطرابات السلوكية التوصل إلى تعريف مناسب وشامل لتلك الاضطرابات وتحديدها. كما أن تعريف باور *Bower* من ناحية أخرى يعد عاماً وذلك بدرجة كبيرة. وفضلاً عن ذلك فإن كثيراً من تلك البنود التي يتضمنها ليست إجرائية على الإطلاق، كما أنه يعد في ذات الوقت عرضة للعديد من التفسيرات المتباينة ومنها على سبيل المثال ما طول (الفترة الزمنية الطويلة)؟ وما هي (الصورة الواضحة)؟. كذلك يبدو من المحتمل بالنسبة للمعلمين أن يتحفظوا على استخدام كلمة عدم القدرة *inability* في عبارة

(عدم القدرة على التعلم) *inability to learn* إذ أن الأطفال ذوي الاضطرابات السلوكية يتعلمون بالفعل مع أنهم يجدون صعوبة أكبر في التعلم بسبب تلك المشكلات التي يتعرضون لها ويخبرونها. وإلى جانب ذلك فإن عبارة (الأنماط غير المناسبة من السلوك أو المشاعر) يساء تحديدها وتعريفها هي الأخرى، وتعد عرضة لتفسيرات عديدة. وأخيراً فقد بدأ مؤلفون آخرون مثل ألجوزين وسكميد وكونورز (*Schmid,& Algozzine, 1978*) *Connors* وكوفمان (*Kauffman 1977*) في تناول الحاجة إلى وجود محكات إجرائية لتعريف الاضطرابات السلوكية إذ أن حقيقة وجود تعريف يشمل مصطلحات غير محددة وغير إجرائية متضمناً في قانون تعليم الأفراد ذوي الإعاقات *IDEA* يعد أمراً سيئاً في الواقع.

وفي تعليقهم على المصطلحات واستخدام تعريف باور *Bower* لفترة طويلة ناقش فورنيس وكافيل (*Forness & Kavale 2000*) مدى ملاءمة مثل هذه المعايير التشخيصية المتضمنة، وإمكانية استخدامها بشكل آمن ومطمئن. وأشارا إلى أن مثل هذا التعريف لا ينطبق تماماً على الأطفال والمراهقين ذوي الاضطرابات السلوكية، وأن استخدامه قد ترتب عليه بالتالي وجود تمثيل زائد مزمن ودراماتيكي للأمريكيين ذوي الأصل الأفريقي بين الأطفال والمراهقين المصنفين على أنهم يعانون من الخلل أو الاضطراب الانفعالي الخطير *SED* وهو الأمر الذي تؤكده البيانات التي نشرتها وزارة التربية الأمريكية (*2002*– أ، ب) حيث تشير إلى أنه في الوقت الذي يشكل الأطفال الأمريكيون ذوو الأصل الأفريقي فيه *14.5%* من مجموع الأطفال في سن المدرسة، فإنهم يمثلون *27%* من الأطفال والمراهقين الذين تم تشخيصهم على أنهم يعانون من هذا الاضطراب.

قياس الاضطرابات السلوكية *Deviant Behavior of Normal Individuals*

يتضمن التعريف الخاص بإعاقات معينة تقييم تلك السلوكيات التي يمكن قياسها بصورة ثابتة وصادقة، فعلي سبيل المثال يعرف التخلف العقلي جزئياً أي في جانب منه وذلك وفقاً للقواعد والتنظيمات أو الضوابط المستخدمة لذلك بأنه " مستوى دون المتوسط من الأداء الوظيفي العقلي العام". وسوف يتم التعامل مع الأداء الوظيفي العقلي إجرائياً على أنه يعد بمثابة درجة معينة على اختبار الذكاء رغم أن ذلك لم يذكر بوضوح في التعريف. وهكذا فإن هذه الإعاقة المحددة تعرف جزئياً من خلال درجة معينة على الاختبار وذلك حال اللجوء إلى أداة معينة يتم استخدامها في الأساس في سبيل قياس الأداء الوظيفي العقلي. و بالمثل فإن قياس التحصيل الأكاديمي يعتبر أساسياً في تعريف صعوبات التعلم وهو ما